قوله: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾: هي: تضعيف ثواب الأعمال بالحسنة عشراً أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف، وزيادة علىٰ ذلك، ويشمل ما يعطيهم الله في الجنان من القصور والحور والرضا عنهم، وما أخفاه لهم من قرة أعين، وأفضل من ذلك، وأعلاه النظر إلىٰ وجهه الكريم، فإنه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه، لا يستحقونها بعملهم، بل بفضله وبرحمته، وقد روىٰ تفسير (الزيادة) بالنظر إلىٰ وجه الله الكريم، عن أبي بكر الصديق، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم، وسعيد بن المسيب وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعبد الرحمن بن سابط، وعكرمة، ومجاهد، وعامر بن سعد، وعطاء، والضحاك، والحسن، وقتادة، والسدي، ومحمد بن إسحاق، وغيرهم من السلف والخلف[١]. رضي الله عنهم جميعاً.

أثر أبي بكر الصديق أنه قال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: النظر إلىٰ وجه ربهم[٢].

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: النظر إلىٰ وجه ربهم، وقرأ ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [يونس: من الآية

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ١٩٨). (٢) تفسير الطبري (١١/ ١٠٤).

٢٦] قال: بعد النظر[١].

وعن عامر بن سعد ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: النظر إلىٰ وجه ربهم[٢].

وعن قتادة ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ قال: الزيادة فيما بلغنا: النظر إلىٰ وجه الله عز وجل[٣].

وعن الحسن ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ قال: النظر إلىٰ الرب جل وعلا[٤].

قال الإمام مالك - رحمه الله -: لما حجب أعداؤه فلم يروه تجلىٰ لأوليائه حتىٰ رأوه.

وقال الشافعي: لما حجب قومًا بالسخط دل علىٰ أن قومًا يرونه بالرضا .. ثم قال: والله لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرىٰ ربه في المعاد لما عبده في الدنيا.

وقال الحسين بن الفضيل: لما حجبهم في الدنيا عن نور توحيده حجبهم في الآخرة عن رؤيته[٥].

وقال ابن خزيمة - رحمه الله تعالىٰ -: إن رؤية الله

---

(١) التوحيد لابن خزيمة، صـ١٨٣. (٢) الطبري (١١ / ١٠١).
(٣) توحيد ابن خزيمة، صـ١٨٣. (٤) الطبري (١١ / ١٠٦).
(٥) أحكام القرآن للقرطبي (١٩ / ١٧).

يختص بها أولياؤه يوم القيامة، وهي التي ذكرها في قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، ويفضل بهذه الفضيلة أولياؤه من المؤمنين، ويحجب جميع أعدائه عن النظر إليه، من مشرك ومتهود ومتنصر ومتمجس ومنافق، كما أخبر في قوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥][1].

يقول ابن القيم - طيب الله ثراه ورحمه - في قصيدته النونية:

ولقد أتىٰ في سورة التطفيف أن
القوم قد حجبوا عن الرحمن
فيدل بالمفهوم أن المؤمنين
يرونه في حينه الحيوان
وبذا استدل الشافعي وأحمد
وسواهما من عالمي الأزمان
وأتىٰ بذا المفهوم تصريحًا با
خرها فلا تخدع عن القرآن

(١) التوحيد (١ / ٤٤٣).

وآتي بذاك مكذبًا للكافرين
الساخرين بشريعة الرحمن
ضحكوا من الكفار يومئذ كما
ضحكوا منهم علىٰ الإيمان
وأثابهم نظر إليه ضد
ما قد قاله فيهم أولوا الكفران
وكذاك فسره الأئمة أنه
نظر إلىٰ الرب العظيم الشأن
لله ذاك الفهم يؤتيه الذي
هو أهله من جاد بالإحسان(١)

قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥].

روي عن طائفة من السلف أن قوله: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾: فسروها: بالنظر إلىٰ وجه الله عز وجل. روي هذا عن: علي وأنس بن مالك، وجابر بن عبد الله ﷺ: قالوا: (المزيد)

(١) نونية ابن القيم ( ).

النظر إلىٰ وجه الله عز وجل بلا كيف(١).

وعن أنس قال: يظهر لهم الرب عز وجل يوم القيامة.

وعن زيد بن وهب - من التابعين - قال: يتجلىٰ لهم كل جمعة(٢).

قال ابن القيم - رحمه الله تعالىٰ -:

وهو المزيد كذاك فسره أبو
بكر هو الصديق ذو الإيقان
وعليه أصحاب الرسول وتابعو
هم بعدهم تبعية الإحسان

وقال تعالىٰ: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٣].

معناه: علىٰ الأرائك ينظرون إلى الله عز وجل(٣).

قال بعضهم: ويخطر ببالي تفسير رابع وهو أشرف من الكل، وهو أنهم ينظرون إلىٰ ربهم، ويتأكد هذا التأويل بما أنه قال بعد هذه الآية: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤]، والنظر المقرون بالنظر هو رؤية الله تعالىٰ علىٰ

(١) أحكام القرآن قرطبي (١٧ / ١٥) والرد علىٰ الجهمية صـ ١٠٢.
(٢) حادي الأرواح، صـ ٢٧٣. (٣) فتح القدير (٥ / ٤٠٣).

ما قال في سورة القيامة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، ومما يؤكد هذا التأويل أنه يجب الابتداء بذكر أعظم اللذات، وما هو إلا رؤية الله تعالىٰ.

وقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في رؤية المؤمنين ربهم سبحانه وتعالىٰ في الدار الآخرة. ولا يمكن دفعها ولا منعها.

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله تعالىٰ -: وأما السنة فقد تواترت الأخبار عن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وأنس وجرير، وصهيب، وبلال، وغير واحد من الصحابة عن النبي ﷺ أن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة في العرصات، وفي روضات الجنات، جعلنا الله تعالىٰ منهم بمنه وكرمه آمين(١).

ولقد ضر اللقاء طائفة من السلف بما يضمن الرؤية، فعن عبد الله بن المبارك قال في قول الله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ [الكهف: من الآية ١١٠].

فمن أراد النظر إلىٰ وجه خالقه فليعمل عملاً صالحًا ولا يشرك به أحدًا(٢).

---

(١) تفسير ابن كثير (٣ / ٣٠٣).
(٢) أصول السنة للالكائي (٣ / ٥١٠).

قال ابن القيم – رحمه الله تعالىٰ –:

ولقـــد أتىٰ ذكـــر اللقـــاء لربنا
الرحـمن في سـرة من الفـرقـان
ولـقـــــــــاؤه إذ ذاك حـكـى
الإجـمـاع فـيـه جـمـاعـة بيـان
وعليه أصحاب الحديث جميعهم
لغـــة وعـــرفًـــا ليس يخـــتلفـــان

قال الإمام أحمد – رحمه الله –:

أحـاديث الرؤيا نؤمن بهـا ونعلم أنهـا حق، ونؤمن بأننا نرىٰ ربنا يوم القيامة، لا نشك فيه ولا نرتاب.

وقال أبو عبد الله الماجشون – وهو من أقرب مالك – في كلام له – فورب السماء والأرض ليجعل الله رؤيته يوم القيامة للمخلصين ثوابًا. فتنضر بها وجوههم.

وأهل الحق والسلف من هذه الأمة متفقون علىٰ أن المؤمنين يرون الله في المعاد وعامة الأحاديث في الرؤية لم تنص إلا علىٰ رؤية المؤمنين ... وجدوا الرؤية المطلقة قد

صارت دالة علىٰ غاية الكرم ونهاية النعيم[١].

وقال شيخ الإسلام - رحمه الله - في عقيدته الواسطية: وقد دخل أيضاً فيما ذكرناه من الإيمان به وبكتبه وبملائكته وبرسله: الإيمان بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة عياناً بأبصارهم كما يرون الشمس صحواً ليس بها سحاب، وكما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته.

يرونه سبحانه وهم في عرصات القيامة، ثم يرونه بعد دخول الجنة كما يشاء الله تعالىٰ[٢].

قال ابن القيم - رحمه الله تعالىٰ -: إن الله سبحانه وتعالىٰ خلق الخلق لعبادته، الجامعة لمعرفته والإنابة إليه ومحبته، والإخلاص له فبذكره تطمئن قلوبهم، وتسكن نفوسهم، وبرؤيته في الآخرة، تقر عيونهم، ويتم نعيمهم فلا يعطيهم في الآخرة شيئًا هو أحب إليهم، ولا أقر لعيونهم، ولا أنعم لقلوبهم، من النظر إليه، وسماع كلامه منه بلا واسطة وقال:

إن أفضل نعيم الآخرة وأجله وأعلاه علىٰ الإطلاق هو:

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦ / ٥٠٣).

(٢) الواسطية مع الشرح للهراس - رحمه الله - صـ ٢٣٣.

النظر إلىٰ وجه الرب عز وجل، وسماع خطابه، كما في صحيح مسلم عن صهيب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «.. **فما أعطاهم شيئًا أحب إليهم من النظر إليه**».

فبين ﷺ أنهم مع كمال تنعمهم بما أعطاهم ربهم في الجنة، لم يعطيهم شيئًا أحب إليهم من النظر إليه، وإنما كان ذلك أحب إليهم لأن ما يحصل لهم به من اللذة والنعيم والفرح والسرور وقرة العين، فوق ما يحصل لهم من التمتع بالأكل والشرب والحور العين، ولا نسبة بين اللذتين والنعيمين البتة، قال تعالىٰ عن الكفار: ﴿**كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ**﴾ [المطففين: ١٥-١٦].

فجمع عليهم نوعي العذاب، عذاب النار، وعذاب الحجاب عنه سبحانه. كما جمع لأوليائه نوعي النعيم: نعيم التمتع بما في الجنة، ونعيم التمتع برؤيته. قال تعالىٰ: ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ**﴾ [الانفطار: ١٣-١٤][1]. وأعلىٰ ما نظروا إليه وأجله وأعظمه هو الله سبحانه وتعالىٰ، والنظر إليه أجل أنواع النظر وأفضلها، وهو أعلىٰ مراتب الهداية.

---

(١) إغاثة اللهفان (١ / ٣٠ و ٣١).

لذة النظر إلىٰ وجه الله يوم القيامة تابعة للتلذذ بمعرفته ومحبته في الدنيا وكما أنه لا نسبة لنعيم ما في الجنة إلى نعيم النظر إلىٰ وجهه الأعلىٰ سبحانه، فلا نسبة لنعيم الدنيا إلى نعيم محبته ومعرفته والشوق إليه والأنس به، بل لذة النظر إليه سبحانه تابعة لمعرفتهم به ومحبتهم له، فإن اللذة تتبع الشعور والمحبة، فكلما كان المحب أعرف كان التذاذه بقربه ورؤيته ووصوله إليهم أعظم(١).

روىٰ الإمام البخاري - رحمه الله - في صحيحه من حديث جرير ﷺ قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نظر إلىٰ القمر ليلة البدر، قال: «**إنكم سترون ربكم ...**»(٢).

وعن أبي سعيد ﷺ قال: قلنا: يا رسول الله، هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟ قال ﷺ: «**نعم. هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب؟**» قالوا: لا يا رسول الله قال: «**ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالىٰ..**»(٣) [رواه البخاري ومسلم].

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٣٣).
(٢) خ رقم (٥٥٤).
(٣) خ برقم (١/ ٤٣٩).

قال ابن القيم - رحمه الله تعالىٰ -:

ويرونه سبحانه من فوقهم
رؤيا العيان كما يرون القمران
هذا تواتر عن رسول الله لم
ينكره إلا فاسد الإيمان
ولقد روىٰ بضع وعشرون امرءاً
من صحب أحمد خيره الرحمن
أخبار هذا الباب عمن قد أتىٰ
بالوحي تفصيلاً بلا كتمان

ومن أجاز عليه التكلم والتكليم، وأن يسمع مخاطبة كلامه معه بدون واسطة فرؤيته أولىٰ بالجواز(١).

وعن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال: «**إنكم لن تروا ربكم عز وجل حتىٰ تموتوا**». صحيح رواه ابن ماجة وعبد الله بن أحمد في السنة والطب(٢).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: عن النبي ﷺ

(١) حادي الأرواح، صـ ٢٥.
(٢) ابن ماجة برقم (٤٠٧٧) وصحيح الجامع برقم (٢٣١٢).

قال: «**جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيها، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلىٰ ربهم إلا رداء الكبرياء علىٰ وجهه في جنة عدن**» [متفق عليه](١).

وقد حكىٰ إجماع السلف علىٰ إثبات الرؤية، والنظر إلىٰ وجه الله عز وجل عدد كبير من علماء الإسلام الأثبات منهم:

١- عثمان بن سعيد الدارمي، حيث قال بعدما ذكر الأحاديث والآثار التي في الرؤية: فهذه الأحاديث كلها أو أكثر منها قد رويت في الرؤية علىٰ تصديقها والإيمان بها، أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، ولم يزل المسلمون قديمًا وحديثًا يروونها ويؤمنون بها ولا يستنكرونها ولا ينكرونها .. ولقد صحت الآثار عن رسول الله ﷺ فمن بعده من أهل العلم، وكتاب الله الناطق به، فإذا اجتمع الكتاب وقول الرسول ﷺ وإجماع الأمة لم يبق لمتأول تأول إلا المكابر وجاحد(٢).

٢- وقال أبو الحسن الأشعري - رحمه الله -: وما روي عن أحد منهم أن الله لا تراه الأبصار في الآخرة، فلما كانوا علىٰ هذا مجتمعين، وبه قائلين ثبتت الرؤية بالإجماع(٣).

(١) خ برقم (٤٨٧٨)، م برقم (١٨٠). (٢) الرد علىٰ الجهمية ص ١٠٣.
(٣) الإبانة عن أصول الديانة، صـ ٧٦.

٣- وقال عبد القادر البغدادي - رحمه الله -: وأجمع أهل السنة علىٰ أن الله تعالىٰ يكون مرئيًا للمؤمنين في الآخرة، وقالوا بجواز رؤيته في كل حال، ولكل حي من طريق العقل، ووجوه رؤيته للمؤمنين خاصة في الآخرة من طريق الخبر، وهذا خلاف قول من أحال رؤيته من القدرية والجهمية(١).

٤- وقال الإمام النووي - رحمه الله تعالىٰ -: أعلم أن مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤية الله تعالىٰ ممكنة غير مستحيلة عقلاً، وأجمعوا أيضًا علىٰ وقوعها في الآخرة، وأن المؤمنين يرون الله دون الكافرين .. وقد تضافرت أدلة الكتاب والسنة، وإجماع الصحابة، فمن بعدهم من سلف الأمة علىٰ إثبات رؤية الله تعالىٰ في الآخرة للمؤمنين(٢).

٥- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -، عندما ذكر بعض الفرق التي تنكر الرؤية: وخالفوا بذلك ما تواترت به السنن عن النبي ﷺ، وما اتفق عليه الصحابة وأئمة الإسلام من أن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة(٣).

---

(١) الفرق بين الفرق، صـ ٣٠٥. (٢) شرح صحيح مسلم (٣ / ١٥).
(٣) الفتاوى (٦ / ٤٦٩) ومنهاج السنة (٢ / ٧٦).

٦- وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالىٰ -: أن الصحابة ﷺ والتابعين، وجميع أهل السنة والحديث، كالأئمة الأربعة وأهل الاستقامة من أتباعهم متفقون علىٰ أن المؤمنين يرون وجه ربهم من الجنة[١].

وقال رحمه الله في حادي الأرواح: وقد دل القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصحابة، وأئمة الإسلام، وأهل الحديث عصابة الإسلام، ونزل الإيمان، وخاصة رسول الله ﷺ علىٰ أن الله سبحانه وتعالىٰ يُرىٰ يوم القيامة بالأبصار عيانًا، كما يُرىٰ القمر ليلة البدر، وكما تُرىٰ الشمس في الظهيرة[٢].

٧- قال السفاريني - رحمه الله -: فإنه ينظر بالأبصار في دار المقامة والقرار باتفاق أئمة الدين وسلف الأمة الأخيار، وأجمع عليه أهل الحق وسلف الأمة، وأهل الصدق، وأعلام الأئمة من رؤية رب العالمين، واتفق الأنبياء والمرسلون والصحابة، والتابعون وأئمة السلف علىٰ ثبوتها في دار القرار من غير شك ولا إنكار، والحاصل أن رؤية الرب جل جلاله في الموقف حاصلة، حتىٰ لمنافقي الأمة علىٰ

---

(١) مختصر الصواعق، صـ ٣٣٩ .   (٢) حادي الأرواح، صـ ٢٤٥ .

الأصح، أما الرؤية في الجنة فأجمع أهل السنة أنها حاصلة للأنبياء والرسل والصديقين من كل أمة والمؤمنين من البشر من هذه الأمة واختلف في غيرها(١).

وهذا سؤال النبي ﷺ ربه: «**وأسألك لذة النظر إلى وجهك**»: كان الرسول ﷺ يدعوه، فكان يسأل ربه لذة النظر إلىٰ وجهه تعالىٰ فدل هذا علىٰ أن الرؤية جائزة، وعلىٰ أنها ستكون يوم القيامة، إذ من غير الجائز علىٰ النبي ﷺ أن يسأل ربه شيئًا مستحيلًا.

قال ابن القيم – رحمه الله تعالىٰ –:

أو ما سمعت سؤال أعرف خلقه
بجلاله المبعوث بالقرآن
شوقًا إليه ولذة النظر الذي
بجلال وجه الرب ذي السلطان
فالشوق لذة روحه في هذه
الدنيا ويوم القيامة الأبدان

---

(١) لوامع الأنوار البهية (٢ / ٢٤٠)، وانظر مقدمة الرؤيا لابن النحاس وتحقيق علي رضا جزاه الله خيرًا.

تلتـــذ بالنظر الذي فـــازت به
دون الجـــوارح هذه العـــينان

وقال - رحمه الله تعالىٰ -: أن أطيب شيء في الآخرة النظر إلىٰ وجه الله عز وجل، وهنا يبين أن النعيم في الدنيا واللذة فيها كله وسيلة للذة الآخرة: وإذا عرف أن لذات الدنيا ونعيمها متاع ووسيلة إلىٰ لذات الآخرة، ولذلك خلقت الدنيا ولذاتها، فكل لذة أعانت علىٰ لذة الآخرة وأوصلت إليها لم يذم تناولها، بل يحمد بحسب إيصالها إلىٰ لذة الآخرة.

إذا عُرِف هذا، فأعظم نعيم الآخرة ولذاتها: هو النظر إلىٰ وجه الرب جل جلاله، وسماع كلامه منه، والقرب منه، كما ثبت في صحيح في حديث الرؤية[١]: «**فوالله ما أعطاهم شيئًا أحب إليهم من النظر إليه، أو إلىٰ وجه الله الكريم**» ... فأطيب ما في الدنيا معرفته ومحبته، وألذ ما في الجنة رؤيته ومشاهدته[٢].

---

(١) مسلم (١٨١) عن صهيب.
(٢) الداء والدواء، صـ ٣٥٧ - ٣٥٨.

من فوائد هذه الفقرة:

١- إثبات النظر إلىٰ وجه الله الكريم للمؤمنين في الآخرة.

٢- أن المسلم كلما علم شيئًا من صفات الله واعتقده يزيد إيمانه.

٣- أن صفة الرؤية ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

٤- أن أطيب شيء وأعظم نعيم هو النظر إلىٰ وجه الله عز وجل.

٥- إذا سأل العبد ربه لا يسأله إلا بشيء ثابت خاصة في الأسماء والصفات.

٦- أن طلب النبي ﷺ لذة النظر إلىٰ وجه ربه فيه رد علىٰ من أنكر الرؤية.

٧- أن المؤمنين الحق يعلمون أنهم إذا دخلوا الجنة بإذن الله عز وجل سينظرون إليه.

٨- أن النظر إلىٰ وجه الله عز وجل لذة وأعظم لذة ولا تعادلها لذة.

٩- أن الكفار محجوبون عن ربهم.

١٠- علىٰ المؤمن أن ينتفع من هذا الدعاء فإنه دعاء عظيم.

١١- نستفيد من هذا أن الله علمنا هذا العلم فضلاً منه ورحمة. فاللهم لك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا كما تحب وترضىٰ.

قال حبيب الفارسي ليزيد الرقاشي: بأي شيء تقر عيون العابدين في الدنيا، وبأي شيء تقر عيونهم في الآخرة؟ فقال: أما الذي تقر عيونهم به في الدنيا، فما أعلم شيء أقر لعيونهم من التهجد في ظلمة الليل، وأما الذي تقر أعينهم في الآخرة، فما أعلم شيئًا من نعيم الجنات وسرورها ألذ عند العابدين ولا أقر لعيونهم من النظر إلىٰ ذي الكبرياء العظيم إذا رُفعت تلك الحُجب وتجلىٰ لهم الكريم. فصح حبيب وخر مغشيًا عليه[١].

قال ﷺ: «**وأسألك الشوق إلى لقائك**».

قال في الصحاح: الشوق والاشتياق هو: نزاع النفس إلىٰ الشيء، يقال شاقني الشيء يشوقني فهو شاق وأنا مشوق وشوقني فتشوقت: إذا هيج شوقك، قال الراجز:

يا دارمية بالدكاديك البرق

سقياً لقد هيجت شوق المشتاق

يريد المشتاق. قال سيبويه همز ما ليس بمهموز ضرورة[٢].

---

(١) نفحات رياض القدس لابن رجب، صـ ١١٩.

(٢) روضة المحبين لابن القيم، صـ ٣٣.

الشوق هو: سفر القلب إلىٰ المحبوب أحث السفر، وقد جاء إطلاقه في حق الرب تعالىٰ، كما في المسند للإمام أحمد، من حيث عمار بن ياسر الحديث: «**وأسألك الشوق إلىٰ لقائك**» .. إلخ. وهذا هو المعني الذي عبر عنه النبي ﷺ بقوله: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه**»(١).

وقال بعض أهل البصائر في قوله تعالىٰ: ﴿**مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ**﴾ [العنكبوت: من الآية ٥]. لما علم الله سبحانه وتعالىٰ شدة شوق أوليائه إلىٰ لقائه، وأن قلوبهم لا تهتدي دون لقائه، ضرب لهم أجلاً وموعداً للقائه، تسكن نفوسهم به.

وأطيب العيش وألذه علىٰ الإطلاق عيش المحبين المشتاقين المستأنسين، فحياتهم هي الحياة الطيبة في الحقيقة ولا حياة للعبد - والقلب - أطيب ولا أنعم ولا أهنأ منها فهي الحياة الطيبة المذكورة في قوله تعالىٰ: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً**﴾ [النحل: من الآية ٩٧].

وليس المراد منها الحياة المشتركة بين المؤمنين والكفار، والأبرار والفجار، من طيب المأكل والملبس والمشرب والمنكح،

---

(١) رواه البخاري (٢٤٤٣)، مسلم (٢٦٨٣).

بل ربما زاد ما أعد الله علىٰ أوليائه في ذلك أضعافاً مضاعفة.

وقد ضمن سبحانه وتعالىٰ لكل من عمل صالحًا أن يحيه حياة طيبة، وهو صادق الوعد الذي لا يخلف وعده، وأي حياة أطيب من حياة من اجتمعت، لها وصارت همًا واحدًا، في مرضات الله، ولم يتشعب قلبه، بل أقبل علىٰ الله، واجتمعت إرادته وأفكاره التي كانت منقسمة بكل واد منها شعبه فصار كر محبوبه الأعلىٰ وحبه وحبه والشوق إلىٰ لقائه، والأنس بقربه هو المستولي عليه، وعليه تدور همومه وإرادته وقصوده بل وخطرات قلبه، فإن سكت سكت بالله، وإن نطق نطق بالله، وأن سمع فبه يسمع، وإن بصر فبه يبصر، وبه يبطش، وبه يمشي وبه يتحرك، وبه يسكن، وبه يحيا، وبه يموت، وبه يبعث كما في صحيح البخاري[1]. عنه ﷺ: «**ما تقرب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه**» الحديث[2].

وقال رحمه الله تعالىٰ: ولما كان الألم لا محيص منه البتة، عز الله - سبحانه - من اختبار الألم اليسير المنقطع

(١) كما في (صحيح) البخاري برقم (٦٥٠٢).
(٢) الداء والدواء، صـ٢٨٣ - ٢٨٤.

إلىٰ الألم العظيم والمستمر بقوله: ﴿**من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت**﴾ [العنكبوت: من الآية ٥] فضرب لمدة هذا الألم أجلاً، لابد أن يأتي، وهو يوم لقائه، فليتذ العبد أعظم اللذة بما تحمل من الألم من أجله، وفي مرضاته، وتكون لذته وسروره، وابتهاجه بقدر ما تحمل من الألم في الله والله، وأكد هذا العزاء والتسلية برجاء لقائه، ليحمل العبد اشتياقه إلىٰ لقاء ربه ووليه علىٰ تحمل مشقة الألم العاجل، بل ربما غيبه الشوق إلىٰ لقائه عن شهود الألم والإحساس به، ولهذا سأل النبي ﷺ ربه الشوق إلىٰ لقائه، فقال في الدعاء الذي رواه أحمد وابن حبان: «**اللهم إني أسألك بعلمك الغيب ..**» الحديث.

فالشوق يحمل المشتاق إلىٰ الجد في السير إلىٰ محبوبه، ويقرب عليه الطريق، ويطوي له البعيد، ويهون عليه الآلام والمشاق، وهو من أعظم نعمة أنعم الله بها علىٰ عبده ولكن لهذه النعمة أقوال وأعمال، هما السبب الذي تنال به، والله سبحانه سميع لتلك الأقوال، عليم بتلك الأفعال، وهو عليم بمن يصلح لهذه النعمة، ويشكرها، ويعرف قدرها، ويحب المنعم عليه، فتصلح عنده هذه

النعمة، ويصلح بها كما قال تعالىٰ: ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٣]. فإذا فاتت الإنسان نعمة من نعم ربه، فليقرأ علىٰ نفسه: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ ..(١).

مسألة: أيهما أعلىٰ الشوق أم المحبة؟

اختلف الناس في ذلك: قال لابن عطاء وغيره: المحبة أعلىٰ من الشوق. واحتجوا بأن الشوق غايته أن يكون أثراً من آثار المحبة، ومتولداً عنها. فهي أصله وهو فرعها. وقال السري السقطي: الشوق أعلىٰ. وقال: الشوق أجل مقامات العارف، إذا تحقق في الشوق لها عن كل شيء يشغله عمن يشتاق إليه.

ويظهر سر المسألة بذكر فصلين:

١- في حقيقة الشوق.

٢- الفرق بينه وبين المحبة.

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم - رحمه الله - (٣ / ١٥-١٦).

الفصل الأول في حقيقة الشوق:

هو سفر القلب في طلب محبوبه، بحيث لا يقر قراره حتىٰ يظفر به ويحصل له، وقيل: هو لهيب ينشأ بين أثناء الحشا، سببه الفرقة، فإذا وقع اللقاء أطفأ ذلك اللهيب. وقيل: الشوق هبوب القلب إلىٰ محبوب غائب.

وقال ابن خفيف: الشوق ارتياح القلوب بالوجد ومحبة اللقاء بالقرب.

وقيل: الشوق تروح القلوب نحو المحبوب من غير منازع، ويقال الشوق انتظار اللقاء بعد البعاد. فهذا الشوق إنما يكون عن غيبة من المحبوب، وأما حضوره ولقائه فلا شوق. وهذا حجة من جعل المحبة أعلىٰ من الشوق، فإن المحبة لا تزول باللقاء.

الفصل الثاني الفرق بينهما:

فإن الحامل علىٰ الشوق المحبة، ولهذا يقال: لمحبتي له اشتقت إليه وأحببته فاشتقت إلىٰ لقائه، ولا يقال: لشوقي إليه أحببته.

فالمحبة بذر في القلب، والشوق بعض ثمرات ذلك البذر، وكذلك من ثمرها: حمد المحبوب والرضىٰ عنه

وشكره وخوفه ورجاءه والمنعم بذكره والسكون إليه والأنس به والوحشة بغيره، وكل هذا من أحكام المحبة. وثمراتها. وهو حياتها.

فمنزلة الشوق بالمحبة وارتباطه بها يقع كل واحد منهما موقع صاحبه ويفهم منه ويعبر عنه[١].

خمس مسائل متعلقة بالشوق:

١ – الشوق إلىٰ الله، هل يجوز طلقه علىٰ الله؟

فهذا مما لم يرد به القرآن ولا السنة بصريح لفظه. قال «صاحب منازل السائرين» وغيره: وسبب ذلك أن الشوق إنما يكون لغائب.

ومذهب هذه الطائفة قائم علىٰ المشاهدة.

وجوزت طائفة أخرىٰ، إطلاقه كما يطلق عليه سبحانه ... قالوا وإنما قولكم إن الشوق إلىٰ غائب، فهو سبحانه لا يغيب عن عبده ولا يغيب العبد عنه، فهذا حضور العلم، وأما اللقاء والقرب فأمر آخر.

قال ابن القيم رحمه الله تعالىٰ: والصواب أن يقال: إطلاقه متوقف علىٰ السمع[٢]، ولم يرد به، فلا ينبغي إطلاقه، عليه سبحانه.

(١) طريق الهجرتين، صـ ٣٥٥ – ٣٥٧. (٢) السمع أي الكتاب والسنة.

واللفظ الذي أطلقه على نفسه وأخبر به عنها أتم من هذا، وأجل شأنًا هو لفظ المحبة، فإنه سبحانه يوصف من كل صفة كمال بأكملها وأجلها وأعلاها، وأشرفها فقال: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: من الآية ٥٤]، ﴿يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: من الآية ٢٢٢]. ﴿يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: من الآية ١٩٥]، ﴿يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: من الآية ١٤٦][(١)].

٢- المسألة الثانية: هل يطلق على العبد أنه يشتاق إلى الله وإلى لقائه؟

فهذا غير ممتنع، فقد روى أحمد، في مسنده، والنسائي وغيرهما من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما أنه كان من دعاء النبي ﷺ: «**اللهم بعلمك الغيب .. وأسألك الشوق إلى لقائك ...**» الحديث.

فهذا فيه: إثبات النظر إلى وجه الله الكريم، وشوق أحبابه إلى لقائه، فإن حقيقة الشوق إليه هو الشوق إلى لقائه.

قال أبو القاسم القشيري: سمعت الأستاذ أبا علي يقول: في قوله ﷺ: «**وأسألك الشوق إلى لقائك**» قال: كان الشوق مائة جزء فتسعه وتسعون له، وجزء متفرق في

---

(١) طريق الهجرتين، صـ ٣٥٧ - ٣٥٨.

الناس فأراد أن يكون ذلك الجزء له أيضًا، فغار أن تكون شظية من الشوق في غيره.

وقال بعض العارفين: من اشتاق إلىٰ الله اشتاق إليه كل شيء.

وقال بعضهم: قلوب المشتاقين منورة بنور الله عز وجل.

وإذا كان الشوق هو سفر القلب في طلب محبوبه ونزوعه إليه فهو من أشرف مقامات العبيد وأجلها وأعلاها. ومن أنكر شوق العبد إلىٰ ربه فقد أنكر محبته له، لأن المحبة تستلزم الشوق فالمحب دائمًا مشتاق إلىٰ لقاء محبوبه: لا يهدأ قلبه ولا يقر قراره إلا بالوصول إليه.

من عرف الله أشتاق إليه، وإذا كانت المعرفة لا نهاية لها فشوق العارف لا نهاية له. هذا مع الشوق الناشيء عن طلب اللقاء والرؤية والمعرفة العيانية، فإذا كان القلب حاضرًا عند ربه وهو غير غائب عنه لم يوجب له هذا لأن لا يكون مشتاقًا إلىٰ لقائه ورؤيته.

بل هذا يكون أتم لشوقه وأعظم .. لا يزال العارف في مزيد من معرفته وشوقه والله المستعان[١].

---

(١) طريق الهجرتين، صـ ٣٦١-٣٦٢.

٣- المسألة الثالثة: هل يزول الشوق باللقاء أم يقوى؟

قالت طائفة: الشوق يزول باللقاء، لأنه طلب إذا حصل المطلوب زال الطلب، لأن تحصيل الحاصل محال.

وقال طائفة أخرىٰ: ليس كذلك بل الشوق يزيل بالوصول واللقاء ويتضاعف بالدنو واحتجت هذه الطائفة بأن الشوق الذي كان متعلقًا بلقائه وخلقه شوق آخر أعظم منه وأبلغ إلىٰ ما يزيد قربه والخطوة عنده، وأما إذا قدر أنه لقيه ثم احتجب عنه ازداد شوقه إلىٰ لقاء آخر ولا يزال يحصل له الشوق كلما احتجب عنه، فهذا لا ينقطع شوقه أبدًا، فهو إذا رآه بل شوقه برؤيته، وإذا زال عنه الطرف عاوده الشوق كما قيل:

ما يرجع الطرف عنه عند رؤيته
حتىٰ يعود إليه الطرف مشتاقًا

وإنما الشأن في دوام الشوق حال الوصول واللقاء، فأعلم أن الشوق نوعان:

١- شوق إلىٰ اللقاء فهذا يزول باللقاء.

٢- شوق في حال اللقاء، وهو تعلق الروح بالمحبوب تعلقًا لا ينقطع أبدًا فلا تزال الروح مشتاقة إلىٰ مزيد هذا

التعلق وقته اشتياقًا لا يهدأ. فالشوق في حال الوصول والقرب إلىٰ مزيد النعيم واللذة لا ينقطع والشوق في حال السير إلىٰ اللقاء ينقطع ونستغفر الله من الكلام فيما لسنا بأهل له(١).

٤- المسألة الرابعة: ما هو الفرق بين الشوق والاشتياق؟

فقال أبو عبد الرحمن السلمي: سمعت النصر آبادي يقول: للخلق كلهم مقام الشوق، وليس لهم مقام الاشتياق، ومن دخل في حال الاشتياق هام فيه حتىٰ لا يرىٰ له أثر ولا قرار. وهذا يدل علىٰ أن الاشتياق عنده غير الشوق.

ولا ريب أن الاشتياق مصدر اشتاق يشتاق اشتياقًا، مثل شاقة شوقًا إذا دعاه إلىٰ الاشتياق.

فها هنا ألفاظ الشوق والاشتياق والتشوق والمشوق والشيق: فهذه ستة ألفاظ: أحدها «الشوق» وهو في الأصل مصدر الفعل المتعدي شاقه يشوقه، ثم صار اسم مصدر الاشتياق. اللفظ الثاني: «الاشتياق» وهو مصدر اشتاق اشتياقاً، والفرق بينه وبين الشوق هو الفرق بين المصدر واسم المصدر. اللفظ الثالث: «التشوق» وهو مصدر تشوق إذا

(١) طريق الهجرتين، صـ ٣٦٢-٣٦٣.

اشتاق مرة كمال يقال: تجرع وتعلم وتفهم. وهذا البناء مشعر بالتكلف وتناول الشيء علىٰ مهله اللفظ الرابع: «الشائق» وهو الداعي للمشوق إلىٰ الاشتياق، واللفظ الخامس: «المشوق» وهو المشتاق الذي قد حصل له الشوق، اللفظ السادس: «الشيق» وهو منزلة هين ولين، وهو المشتاق..

وأما كون الاشتياق أبلغ من الشوق فهذا قد يقال فيه: إنه الأصل وهو أكثر حروفًا من الشوق وهو يدل علىٰ المصدر الفاعل وأما الشوق: ففرع عليه لأنه اسم مصدر، وأقل حروفًا وهو إنما يدل علىٰ المصدر المجرد. فهذه ثلاث فروق بينهما والله أعلم[١].

٥- المسألة الخامسة: ما هي مراتب الشوق ومنازله؟

قال صاحب منازل السائرين: هو علىٰ ثلاث درجات:

الدرجة الأولىٰ: شوق العابد إلىٰ الجنة ليأمن الخائف ويفرح الحزين ويظفر الأمل.

الدرجة الثانية: شوق الله عز وجل - زرعه الحب الذي ينبت علىٰ حافات المنن تعليق قلبه بصفاته المقدسة واشتاق إلىٰ معانيه لطائف كرمه وآيات بره وعلامة فضله وهذا شوق

(١) طريق الهجرتين، صـ ٣٦٤.

تغشاه المبار[١]. وتخالجه المسار ويقارنه الاصطبار.

والدرجة الثالثة: نار أضرمها صفو المحبة فنغصت العيش وسلبت السلو، ولم ينهنهها مقر دون اللقاء. قلت: الأولىٰ هي: شوق إلىٰ فضل الله وثوابه. والثانية: شوق إلىٰ لقائه ورؤيته، والثالثة: شوق إليه لا لعلة ولا لسبب ولا ملاحظة فيه غير ذاته.

فالأول: حظ المشتاق من إفضاله وإنعامه.

والثاني: حظه من لقائه ورؤيته.

والثالث: قد فنيت فيه الخطوط واضمحلت فيه الأقسام.

قوله في الدرجة الأولي: (ليأمن الخائف ويفرح الحزين ويظفر الأمل)، هذه ثلاث فوائد ذكرها في هذا الشوق: آمن الخائف، وفرح الحزين، والظفر بالأمل.

فهذه المقاصد لما كانت حاصلة بدخول الجنة كانت مصورة للنفس أشد الشوق إلىٰ حصول هذه المطالب وهي الفوز والفرح.

وجماع ذلك أمران:

---

(١) موضع البر والبر الخير.

الأول النجاة من كل مكروه. والثاني الظفر بكل محبوب إذ هما المشوقان إلىٰ الجنة. وقوله في الثانية: (شوقًا إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ زرعه الحب) تقدم أن الشوق ثمرة الحب.

وقوله الذي ينبت علىٰ حافات المنن: أي: أنشأه الفكر في منن الله تعالىٰ وأياديه، وأنعامه المتواترة، وفيه إشارة إلىٰ أن هذا الحب الذي هو نابت على الحافات والجوانب بعده حب أكمل منه وهو الحب الناشئ من شهود كمال الأسماء والصفات، وذلك ليس من نبات الحافات، ولكن من الحب الأول يدخل في هذا كما تقدم.

وقوله: (وهذا شوق تغشاه المبار) هو: جمع مبرة وهي البر، أي أن هذا الشوق مشحون بالبر مغشي به، وهو إما بر القلب وهو كثرة خيره، فهذا القلب أكثر القلوب خيراً. فيفعل البر تقربًا إلىٰ من هو مشتاق إليه[١].

وقال - رحمه الله -: فجمع بين هذا الدعاء العظيم القدر بين أطيب شيء في الدنيا، وهو الشوق إلىٰ لقائه، وأطيب شيء في الآخرة، وهو النظر إلىٰ وجهه سبحانه[٢].

---

(١) طريق الهجرتين، صـ ٣٦٥-٣٦٦. (٢) إغاثة اللهفان (١ / ٢٨).

قال ابن رجب – رحمه الله تعالىٰ –: الشوق إلىٰ لقاء الله درجة عالية رفيعة تنشأ من قوة المحبة لله عز وجل، وقد كان النبي ﷺ يسأل الله هذه الدرجة أخرجه الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه والحاكم من حديث عمار رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يدعو بهذا الدعاء: «**اللهم بعلمك الغيب**.» الحديث..

من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة:

والمسئول ها هنا الشوق إلىٰ لقاء الله غير الناشئ عن هذين الأمرين، بل عن محض المحبة وقد دل قوله تعالىٰ في حق اليهود: ﴿**قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [البقرة: ٩٤].

علىٰ أن من كان علىٰ حالة حسنة من الاستعداد للقاء الله فإنه يتمنىٰ لقاء الله ويحبه، وأنه لا يكره ذلك إلا من هو مريب في أمره.

وقال سفيان: كان بالكوفة رجل متعبد من همدان فكان يقول: ما تطيب نفسي لنفسي بالموت إلا إذا ذكرت لقاء الله، فإني أجد نفسي عند ذلك تطيب بالموت لما ترجو في لقاء الله عز وجل من البركة والسرور.

قال: وقد اتفق العارفون كلهم علىٰ أن ما يحصل بعد

البعث للعارفين المحبين أكمل مما يحصل لقلوبهم في الدنيا، فإن غاية الحاصل للقلوب في الدنيا هو تجلي أنوار الإيمان في القلب، وحتىٰ يصير الغيب وكأنه شهادة.

قال: ومن أعلىٰ نعيم الجنة ما يحصل فيها من معرفة الله ومشاهدته فإن علم اليقين يصير هناك عين اليقين، وتتجدد معرفة عظيمة لم تكن موجودة قبل ذلك، بل ولم تخطر علىٰ قلب بشر وكذلك توحيد أهل الجنة ودوام ذكرهم هو من أكمل لذاتهم ولذلك يلهمون التسبيح، كما يلهمون النفس.

وقال ابن عيينة – رحمه الله –: لا إله إلا الله لأهل الجنة كالماء البارد لأهل الدنيا.

وكذلك ترنمهم بالقرآن وسماعهم له، وأعلاه سماعه من الله جل جلاله وتقدست أسماءه، فأين هذا من تلاوة أهل الدنيا وذكرهم.

وهذا مثل الصلاة: فإن العارفين في الدنيا إنما يتنعمون بما فيها من المناجاة وآثار القرب، وما يرد عليهم من الواردات في تلاوة الكتاب ونحو ذلك من نعيم القلوب وربما يستغرقون به عن الشعور بتعب الأبدان، فهذا القدر الذي حصل لهم به أكملهم من ينظر إلىٰ وجه الله عز وجل

كل يوم مرتين بكرة وعشية[١].

وقد أشار النبي ﷺ بالمحافظة على صلاة الصبح وصلاة العصر كما في حديث جرير بن عبد الله البجلي قال النبي ﷺ: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضاهون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: من الآية ٣٩] البخاري[٢].

قال ابن رجب -رحمه الله-: فالنعيم الحاصل لأهل الجنة بالرؤية والمخاطبة في هذين الوقتين أكمل مما كان حاصلاً في الدنيا، وكذلك صلاة الجمعة فإنهم يجتمعون في وقتها في يوم المزيد ويتجلى لهم سبحانه ويحاضرهم محاضرة.

ويتبين أن التوحيد الذي في الجنة أكمل من التوحيد الذي في الدنيا وهو جزاء له، وكذلك المعرفة والمحبة والشوق أيضاً.

وعند التحقيق يتبين أن ما حصل في الدنيا وهو جزاء له، وكذلك المعرفة والمحبة والشوق أيضاً.

وعند التحقيق يتبين أن ما حصل في الدنيا للقلوب من تجلي أنوار الإيمان يدل على عظمة ما يحصل في الجنة،

(١) استنشاق نسيم الأنس، رياض القدس، صـ ١٢٩-١٤٠.

(٢) رواه البخاري برقم (٧٤٣٤).

وليس بينهما نسبة فيتزايد بذلك الشوق إلىٰ ما وراءه، ولهذا كان النبي ﷺ يسأل ربه الشوق إلىٰ لقائه، مع أنه أكمل الخلق مشاهدة ومعرفة.

قال عبد الواحد بن زيد: يا اخوتاه ألا تبكون شوقًا إلىٰ الله عز وجل؟ ألا إنه من بكىٰ شوقًا إلىٰ سيده لم يحرمه النظر إليه.

وقال صالح المري: بلغني عن كعب أنه كان يقول: من بكىٰ اشتياقًا إلىٰ الله سبحانه أباحه النظر إليه تبارك وتعالىٰ.

وقال عثمان بن صخر العتكي: طوبىٰ لمحبي الرب الذين عبدوه بالفرح والسرور والأنس والطمأنينة، فصاروا والصفوة من الخلق والخاصة من البرية، يحنون إليه حنين الولهان، ويشتاقون إليه شوق من لا صبر لهم عنه، قد كسروا بالخوف، ورَوَّحوا بالظفر.

قال القائل:

ما نال عبد من الرحمن منزلة
أعلا من الشوق إن الشوق محمود[١]

---

(١) استنشاق نسيم الأنس، رياض القدس، صـ ١٤٢-١٥١.

وللقاء الله عز وجل محبة من المؤمنين، الصادقين، المشتاقين، الراغبين الراضين، الموقنين، ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه.

عن أنس عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ..**»[1].

قال الحافظ - رحمه الله -: قال العلماء: محبة الله لعبده وإرادته الخير له وهدايته إليه وإنعامه عليه، وكراهته له علىٰ الضد من ذلك.

وقال رحمه الله: سيأتي في التوحيد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه رفعه، «**قال الله عز وجل إذا أحب عبد لقائي أحببت لقاءه**» الحديث فيقين أن (من) في حديث الباب شرطية.

قال الخطابي: تضمن حديث الباب من التفسير ما فيه غنية من غيره، واللقاء يقع علىٰ أوجه، منها المعاينة، ومنها البعث، كقوله تعالىٰ: ﴿**الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ**﴾ [الأنعام: من الآية ٣١]. ومنها: الموت كقوله: ﴿**مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ**﴾ [العنكبوت: من الآية ٥]. وقوله: ﴿**قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ**

[1] البخاري برقم (٦٥٠٧). ومسلم.

الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ﴾ [الجمعة: من الآية ٨]. وقال ابن الأثير في النهاية: المراد بلقاء الله هنا المصير إلىٰ الدار الآخرة وطلب ما عنده الله، وليس الغرض به الموت لأن كلاً يكرهه، فمن ترك الدنيا وأبغضها أحب لقاء الله ومن أثرها وركن إليها كره لقاء الله لأنه إنما يصل إليه بالموت.

وقد سبق ابن الأثير، أبو عبيد القاسم بن سلام فقال: ليس وجهه عندي كراهة الموت وشدته لأن هذا لا يكاد يخلو عنه أحد، ولكن المذموم من ذلك إيثار الدنيا والركون إليها وكراهية أن يصير إلىٰ الله والدار الآخرة. قال: ومما يبين ذلك أن الله عاب قومًا بحب الحياة فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾ [يونس: من الآية ٧]. وقال الخطابي: معنىٰ محبة العبد للقاء الله إيثاره الآخرة علىٰ الدنيا فلا يحب استمرار الإقامة فيها بل يستعد للارتحال عنها والكراهة بضد ذلك.

وقال النووي رحمه الله: معنىٰ الحديث أن المحبة والكراهة التي تقع عند النزع في الحالة التي لا تقبل فيها التوبة حيث يكشف الحال للمحتضر ويظهر له ما هو صائر إليه(١).

---

(١) فتح الباري (١١ / ٣٦٥-٣٦٧).

قوله ﷺ: «**اللهم زينا بزينة الإيمان**».

زين: أي حسن. والزين: ضده الشين. وزينه: أي حسنه.

تعريف الإيمان لغة: هو الإقرار بالشيء عند تصديق به. فهو الإقرار، والاعتراف الملتزم للقبول للأخبار والإذعان للأحكام. والإيمان: قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

والإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل. والإيمان: هو الإيمان بالله عز وجل، وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر والقدر خير وشره.

قال تعالىٰ: ﴿**ولكنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾ [الحجرات: من الآية ٧] الإيمان بالله ورسوله عليه الصلاة والسلام - فأنتم تطيعون رسول الله، وتأتمون به فيقيكم الله بذلك من العنت ما لم تطيعوه، وتتبعوه وكان يطيعكم لنا لكم وأصابكم.

﴿**وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾. يقول: وحسن الإيمان في قلوبكم فآمنتم[1].

وهذا خطاب للمؤمنين المخلصين الذين لا يكذبون

(١) تفسير الطبري (١١/ ٣٨٥).

النبي ﷺ ولا يخبرون بالباطل، أي جعل الإيمان أحب الأديان إليكم ﴿وزينه﴾ بتوفيقه، ﴿في قلوبكم﴾ أي حسنه إليكم حتىٰ اخترتموه[١].

فإذا كان المؤمن قد حبب الله إليه الإيمان وزينه في قلبه، وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان حتىٰ يعوض عن شهوة الغي بحب الله ورسوله ﷺ وما يتبع ذلك، وعن الشبهات والشهوات بالنور والهدىٰ، وأعطاه الله من القوة والقدرة ما أيده به: حيث دفع بالعلم الجهل، وبإرادة الحسنات إرادة السيئات، وبالقوة علىٰ الخير القوة علىٰ الشر في نفسه فقط[٢].

والله تعالىٰ يحبب إليكم الإيمان ويزينه في قلوبكم، بما أودع الله في قلوبكم من محبة الحق وإيثاره، وما ينصب علىٰ الحق من الشواهد والأدلة الدالة علىٰ صحته، وقبول القلوب والفطر له .. (أولئك) أي: الذين زين الله الإيمان في قلوبهم، وحببه إليهم[٣].

وقوله عليه الصلاة والسلام: «**واجعلنا هداة مهتدين**»: أي صيرنا من المهتدين وهيئنا إلىٰ الهداية، واجعلنا من الذين دلوا وأرشدوا وفقهوا.

(١) القرطبي (١٦ / ٢٦٦-٢٦٧).
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٥ / ٤٠٠-٤٠١).
(٣) تفسير السعدي، ص ٨٠٠.

قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

قال ابن القيم رحمه الله: وهذه أحد الفوائد في دعاء القنوت: «اللهم اهدني فيمن هديت» أي: أدخلني في هذه الزمرة، وأجعلني رفيقًا لهم ومعهم.

والفائدة الثانية: أنه توسل إلىٰ الله بنعمه، وإحسانه إلىٰ من أنعم عليه بالهداية أي: قد أنعمت بالهداية علىٰ من هديت، وكان ذلك نعمة منك. فاجعل لي نصيبًا من هذه النعمة، واجعلني واحدًا من هؤلاء المنعم عليهم. فهو توسل إليه بإحسانه.

والفائدة الثالثة: كما يقول السائل الكرمي: تصدق عليَّ في جملة من تصدقت عليهم، وعلمني في جملة من علمته، وأحسن إليَّ في جملة من شملته بإحسانك.

ولما كان سؤال الله الهداية إلىٰ الصراط المستقيم أجل المطالب، ونيله أشرف المواهب، علم الله عباده كيفية سؤاله، وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمده والثناء عليه، وتمجيده(١).

فأهدنا إلىٰ الصراط وأهدنا في الصراط، فالهداية إلىٰ

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٠-٣١).

الصراط: لزوم دين الإسلام، وترك ما سواه من الأديان، والهداية في الصراط تشمل الهداية لجميع التفاصيل الدينية علماً وعملاً، فهذا الدعاء من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد، ولهذا وجب علىٰ الإنسان أن يدعو الله به في كل ركعة، لضرورة إلىٰ ذلك[١].

قوله ﷺ: «**في غير ضراء مضرة**»: الضراء: نقيض السراء. وهي الحالة التي تضر. وقيل: الضراء: النقص في الأموال والأنفس[٢]. والضراء: الحالة التي تضر وهي نقيض السراء وهما للمؤنث ولا مذكر لهما. وضراء مضرة للتأكيد.

والضراء: المرض علىٰ اختلاف أنواعه، من حمىٰ وقروح ورياح ووجع عضو، حتى الضرس والأصبع ونحو ذلك، لأن النفس تضعف والبدن يألم، وذلك في غاية المشقة علىٰ النفوس. خصوصاً مع تطاول ذلك[٣].

«**في غير ضراء**» أي: شدة. «**مضرة**» أي: غير نافعة. لأن المضرة: خلاف النافعة. قال الطيبي -رحمه الله-: متعلق الظرف مشكل، ولعله متصل بالقرينة الأخيرة: وهو قوله: والشوق إلىٰ لقائك سأل شوقاً إلىٰ الله بحيث يكون

(١) تفسير السعدي، ص ٣٩.
(٢) اللسان (٤ / ٤٨٣).
(٣) تفسير السعدي، صـ ٨٣.

ضراء غير مضرة، أي شوقًا لا يؤثر في سيري وسلوكي، وإن ضرني مضرة، ويجوز أن يتصل بقوله: «**أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي**»، ومعنىٰ ضراء غير مضرة، الضر الذي يصبر عليه كما ورد في قوله ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**» اهـ.

ومعنىٰ «**ضراء مضرة**»: الضر الذي لا صبر عليه. وقال القونوي الضراء المضرة حصول الحجاب بعد التجلي والتجلي بصفة تستلزم سدل الحجاب(١).

قوله عليه الصلاة والسلام «ولا فتنة مضلة»: فتن: جمع معنىٰ الفتنة الإبتلاء والامتحان والاختبار ... والفتنة المال، والفتنة الكفر والفتنة اختلاف الناس بالأراء، والفتنة الإحراق بالنار. وقيل الفتنة في التأويل: الظلم(٢). والفتنة المضلة: هي التي تضل صاحبها عن الصراط المستقيم. نسأل الله العافية. والفتنة المضلة: هي كل شبهة توجب الخلل أو تنقص في العلم والشهود(٣).

(١) فيض القدير (٢ / ١٨٥) ط دار الباز.
(٢) لسان العرب (١٣ / ٣١٧). (٣) فيض القدير (٢ / ١٨٥).

اللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وفي الحديث فوائد:

١- أن الإمام ينبغي أن يخفف الصلاة بالجماعة.

٢- أن المؤمن ينبغي أن يسأل من العلماء ما لم يعلمه، فإن كان عما يجب عليه، يجب السؤال، وإلا فيستحب.

٣- لا ينبغي للعالم أن يبخل بما علم.

٤- يجوز إستبقاء الحياة إذا كانت الحياة خيراً له، بدلالة الظاهر.

٥- يجوز سؤال الموت إذا كان الموت خيراً له، بشهادة الظاهر.

٦- أن الأولىٰ ترك السؤال بأكثر من القصد والغنىٰ.

٧- استفيد منه إثبات الرؤية وفيه رد علىٰ المعتزلة.

٨- استفيد منه بقاء الجنة أبد الأبدين، وفيه رد علىٰ من يقول: تفنى بعد أن يجاز العباد بقدر أعمالهم.

٩- استفيد منه إثبات عذاب القبر، وفيه رد علىٰ المعتزلة.

١٠- يجوز أن يقال اشتقت إلىٰ لقاء ربي، وفيه رد علىٰ بعض الصوفية، حيث منعوا مثل هذا الكلام(١).

(١) العلم الهيب، ص ٣١٣، وهذا من كلام العيني في شرح الكلم الطيب.